بسم الله الرحمن الرحيم

∞∞∞

تم عمل المسح الضوئي لهذة الرسالة بواسطة / سامية زكى يوسف

بقسم التوثيق الإلكتروني بمركز الشبكات وتكنولوجيا المعلومات دون أدنى مسئولية عن محتوى هذه الرسالة.

ملاحظات:

- بالرسالة صفحات لم ترد بالأصل
- بعض الصفحات الأصلية تالفة
- بالرسالة صفحات قد تكون مكررة
- بالرسالة صفحات قد يكون بها خطأ ترقيم

جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم الفلسفة

١٨٩

أثر المصطلح الفكرى
فى توجيه الخلافات المذهبية بين الفرق الإسلامية
(دراسة تحليلية مقارنة)

لنيل درجة الماجستير فى الآداب من قسم الفلسفة
شعبة الفلسفة الإسلامية

مقدمة من الطالب
أحمد خميس زكى مرعى
المعيد بقسم الفلسفة ـ كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

إشراف

الأستاذ الدكتور
محمـــد أحمـــد عبـد القـادر
أستاذ الفلسفة الإسلامية
كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

ر ٤١٦

٢٠٠٩

بيـــانات أســـاســـية

وتوقيعات لجنة الإشراف

والحكم على الرسالة

موضوع الرسالة : (أثر الاطلاع الفكري في توجيه الخلافات المذهبية بين الفرق الإسلامية) دراسة تحليلية مقارنة

نوع الدرجة :

ماجستيـــر : ✓

دكـــتوراه :

مقدمة من

اسم الطالب :- أحمد حميس زكي حميس .....

قســـــم :- الفلسفة .....

التخصص الدقيق : الفلسفة الإسلامية .....

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة	مشرفا / عضوا	التوقيع
الاستاذ الدكتور / أحمد محمد	.....	.....
الاستاذ الدكتور / نبيل السيد مصطفى الطوبجي	.....	.....
الاستاذ الدكتور / حمدي عبد المعطي	.....	.....
الاستاذ الدكتور /	.....	.....

التاريخ / /

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

صدق الله العظيم

هود/ ١١٨، ١١٩

المقدمـــة

يعد المصطلح أداة أساسية من أدوات البحث العلمى، ولكل علم مصطلحات يعرف بها، وتعبيرات اصطلح عليها أصحاب هذا العلم أو ذاك يتفاهمون بها، حيث إن لكل مصطلح معنى واتجاهاً مختلفاً عن المصطلح الآخر. والمصطلح لغة هو كلمة أو عبارة لها معنى محدود فى مجالات بعينها، مثل: المصطلح الكلامى أو الفلسفى أو الصوفى أو العلمى، ومع تكون العلوم فى الحضارة الإسلامية تخصصت دلالة كلمة «اصطلاح» أو «مصطلح» لتعنى الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص.

ونظراً لأهمية المصطلح فى الفكر الإسلامى فقد وضعت فيه عدة مؤلفات منذ نشأة الفكر الكلامى والفلسفى، فعلى سبيل المثال: كتب جابر بن حيان (ت٢٠٠هـ) «رسالة فى الحدود» وكتب الكندى (ت ٢٥٢ هـ) «رسالة فى حدود الأشياء ورسومها»، وكتب الخوارزمى (ت ٣٧٨ هـ) «الحدود الفلسفية» كما كتب ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) «رسالة فى الحدود» وكتب الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) كتاب «الحدود» ووضع الآمدى (ت ٦٣١ هـ) كتاب «المبين فى شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين» ووضع الجرجانى (ت ٨١٦ هـ) كتاب التعريفات مع قاموس خاص بألفاظ الصوفية كما هى واردة فى الفتوحات المكية لابن عربى (ت ٦٣٨ هـ) وكتاب التهانوى (ت ١١٥٨ هـ) «كشاف اصطلاحات الفنون» وغير ذلك من الكتب التى اهتمت بالمصطلح فى الفكر الإسلامى.

ولا يخفى على أحد الأثر الهائل الذى أحدثه الاختلاف بين المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ، فرغم دعوة الإسلام المسلمين إلى الوحدة والاعتصام بكتاب الله والتعاون على البر والتقوى، إلا أنهم اختلفوا فكانوا شيعاً متفرقين، ولم يقتصر هذا الاختلاف على الفروع بل امتد إلى أصول العقيدة، وحاول كل فريق إثبات أن ما لديه هو الحق وأنه على هدى وصراط مستقيم وما عند غيره باطل فهو فى ضلال مبين، فحارب بعضهم بعضاً، وكفر بعضهم بعضاً، وتسلح كل فريق بما لديه من مفكرين يصيغون له أصوله ومصطلحاته التى تميزه عن غيره، ويدافع بها عن عقيدته. وادعت كل فرقة أنها الناجية و غيرهم هالكون فكان ذلك من أسباب اختلاف المصطلح من فرقة إلى أخرى.

أيضاً فى هذا السياق لا يمكن إغفال قضية مهمة كان لها أثر كبير فى توجيه الخلافات المذهبية بين الفرق الإسلامية، وهى قضية «التأويل» حيث إن المصطلح الواحد يختلف معناه من فرقة إلى أخرى تبعاً لتفسيره أو تأويله، وإذا كان التأويل هو رد الشىء إلى الغاية المرادة منه قولاً كان أو فعلاً، فإن التأويل من الناحية الاصطلاحية يختلف معناه حسب طريقة استخدامه، وإن كان فى النهاية يدور حول حقائق معينة لا يتجاوزها كثيراً، وهى صرف

اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، ويمكن القول إن جل الفرق الإسلامية لجأت إلى التأويل سواء إلى معنى ظاهر يحتمله أم خفى لا يحتمله، فظهرت أنواع من التأويل عقلى وباطنى ورمزى، مما حدا بالمفكرين المسلمين إلى وضع ضوابط لهذا التأويل حتى يكون مقبولاً، أما إذا كان هذا التأويل متعسفاً فلا يكون مقبولاً. ولقد كان للتأويل والمصطلحات أثر فى توجيه الاختلافات المذهبية الناشئة بين الفرق الإسلامية.

وقد تمايزت مصطلحات المتكلمين عن مصطلحات الفلاسفة، وتمايزت مصطلحات الصوفية عن هذه وتلك؛ فالمتكلمون اختصوا بمصطلحات ذات صبغة دينية متصلة بجوهر العقيدة: كالذات والصفات، والرؤية، وكلام الله، والجبر، والاختيار، والعصمة، واللطف، والشفاعة، والصراط، والجنة والنار. وفى ذات الوقت كان لكل فرقة كلامية مصطلحاتها التى تميزها عن غيرها من الفرق الأخرى؛ فالتوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مصطلحات ميزت المعتزلة وشكلت أصولها الاعتقادية بينما كفّرت الخوارج كل من رضى بالتحكيم وخرجت عليه انطلاقاً من مقولتهم الشهيرة «لا حكم إلا لله»، أما الشيعة فقد ناصروا عليا وأولاده من بعده (رضى الله عنهم) حيث رأوا بطش الأمويين بهم فلجأوا إلى التقية ونادوا بعصمة الإمام، وقالوا بالرجعة والبداء وغير ذلك من الألفاظ والمصطلحات التى تدل على مذهبهم. وبطبيعة الحال لم يقف أهل السلف موقف المتفرج بل استخدموا مصطلحات اضطرهم إليها خصومهم للدفاع عن العقيدة وكان منهجهم فى ذلك متمثلاً فى التمسك بالكتاب والسنة.

أما الفلاسفة فقد أبهرتهم أضواء الحضارات السابقة وثقافات الأمم التى فتحها المسلمون، فنقلوا من العلوم النفيس والرخيص، واطلعوا على فلسفات هذه الأمم خاصة اليونانية والفارسية والهندية، وتأثروا بمصطلحاتها وحاولوا التوفيق بين العقل والنقل، فاستخدموا مصطلح «الواحد» أو «واجب الوجود» بدلاً من لفظ الجلالة «الله»، ونجدهم يستعملون مصطلحات مثل: الجوهر والعرض والواجب والممكن، والقوة والفعل، والعلة والمعلول، والماهية والهيولى، والمادة والصورة، كما أنهم نادوا بقدم العالم، وأنكروا حشر الأجساد، وكان دافعهم فى ذلك هو العقل فقط لذا كانت مصطلحاتهم، فى معظم الأحيان غير متفقة مع جوهر الدين.

والصوفية أيضاً كانت لهم ألفاظهم ومصطلحاتهم المستمدة من أحوالهم، وأحوالهم نابعة من أذواقهم، فمن غاب عن الخلق أصبح حاضراً بالحق وكوشف بنعت الجمال، ومن فنى عن شهواته نعم بالبقاء فى جناب الحضرة الإلهية، ولا يمكن الوصول إلى تلك المكانة السامية إلا بعد السير فى طريق طويل يتحلى فيه السالك بالصبر حتى يتجاوز الشريعة ليدرك الحقيقة، وينتقل فيه المريد من مقام إلى آخر فتتبدل عليه الصفات والأحوال. فتارة خوف ورجاء، وتارة

قبض وبسط، وأخرى صحو وسكر. ومن الصوفية من غلبه وجده فلذاع فشطح، ومنهم من لم تبلغ بهم مواجيدهم هذه الدرجة فالتزم، ومنهم من نادى بوحدة الشهود فلم ير إلا الله، ومنهم من نادى بوحدة الوجود فلا فرق عنده بين الواحد والكثير، أو الحق والخلق إلا بالنظر العقلى. أما العارف الصوفى فإنه يدرك تلك الوحدة عن طريق الذوق، ولذا كانت مصطلحات الصوفية مختلفة كل الاختلاف عن مصطلحات المتكلمين والفلاسفة المسلمين.

ويبقى فى دراستنا مجال لتناول إمكانية التقريب بين تلك المواقف المختلفة. وإذا كان الحديث عن (التقريب) والحوار من أجل (الالتقاء) بين الديانات والثقافات المتباعدة مطروحاً ومقبولاً فى واقعنا المعاصر، فهل من إمكانية لحوار فكرى إسلامى داخلى؟ خاصة أن كثيراً من الفرق الإسلامية الغالية اندثرت وبادت، وهل يمكن الاتفاق على مبادئ للحوار بين الفرق والمذاهب الإسلامية المختلفة. وإذا كان المصطلح الفكرى منطلقاً للاختلاف المذهبى بين الفرق، فهل يمكن أن يكون كذلك بداية للتقريب بين المواقف المتعارضة، وأساساً من أسس طرح التعصب والغلو فى المذهبية؟

وقد انطلقت فى هذا البحث من عدة تساؤلات هى:

- هل (الاختلاف) فى الفكر الإسلامى دليل رحابة أفق و خصوبة فى الفكر أم مؤشر تمزق وانهيار؟
- كيف نشأت أهمية المصطلح فى الفكر الإسلامى؟ وكيف تطورت؟
- هل فرض الاهتمامُ بالمصطلح سياقاً وواقعاً فكريين إسلاميين، أم كان ذلك فى إطار تأثر بثقافات مغايرة؟
- هل جاءت المصطلحات الفكرية لدى كل فرقة متسقة مع الإطار المذهبى العام لهذه الفرقة أو تلك؟
- ما مدى صلة التأويل - على اختلافه بين الفرق - بقضية المصطلح؟ وأثر ذلك فى التباين المذهبى؟
- هل أدى الاختلاف فى استخدام المصطلح إلى تأسيس الخلاف المذهبى، أم أنه ساعد على تعميقه؟
- هل يمكن أن يكون المصطلح الفكرى عنصراً من عناصر التقريب والالتقاء بين المواقف المتباعدة؟

أما عن المنهج المستخدم فى هذا البحث فكان المنهج التحليلى، وذلك فى مجال عرض الآراء والمذاهب المختلفة، وكذلك المنهج المقارن لبيان أوجه الاتفاق أو الاختلاف فى فهم وتفسير المصطلح بين الفرق، وبطبيعة الحال فإن المنهج التاريخى يحكم سير البحث فى التناولات التى تقتضيه.

وقد احتوى هذا البحث على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة. المقدمة نبين فيها أهمية موضوع البحث وأهم التساؤلات المثارة فى هذه الدراسة والمنهج المستخدم فيه. وجاء الفصل الأول بعنوان «أهمية المصطلح فى الفكر الإسلامى»، ونتناول فيه المعنى اللغوى والاشتقاقى لكلمة «مصطلح» ثم نشأة المصطلح فى علم الكلام والفلسفة والتصوف، وبعد ذلك نعرض لجهود السابقين فى وضع وتحديد المصطلح.

أما الفصل الثانى بعنوان «الاختلاف بين الفرق نشأته وطبيعته» وفيه نشرح حديث الفرقة الناجية، وأسباب اختلاف المسلمين، ومظاهر هذا الاختلاف، وطبيعته، ثم تعيين الفرق وحصرها، وعلاقة الاختلاف بين الفرق والمصطلح.

والفصل الثالث بعنوان «بين مجالات التأويل ودلالات المصطلح» ونوضح فيه معنى التأويل لغة واصطلاحاً، والفرق بين التأويل والتفسير، ودلالات التأويل فى القرآن الكريم ثم فى الفكر الإسلامى، وشروط التأويل، وأهم أنواعه، والصلة بين مفهوم التأويل وقضية المصطلح.

وجاء الفصل الرابع بعنوان «المصطلح الكلامى منطلقاً للاختلاف المذهبى» ونعرض فيه لأهم مصطلحات علم الكلام و آراء الفرق المختلفة فيها مثل: الأسماء والصفات، وكلام الله، والجبر والاختيار، والعصمة، واللطف، والشفاعة، والقدم.

والفصل الخامس بعنوان «المصطلح الفلسفى منطلقاً للاختلاف المذهبى» وفيه نستعرض أهم المصطلحات التى ميزت الفلاسفة عن غيرهم من أصحاب المقالات الأخرى مثل: الواجب والممكن، والجوهر والعرض، والعلة والمعلول، وقدم العالم، والمعاد الروحانى.

أما الفصل السادس فبعنوان «المصطلح الصوفى منطلقاً للاختلاف المذهبى» وفيه نكشف عن أهم المصطلحات التى تميزت بها الصوفية مثل: المقام والحال، والشريعة والحقيقة، والذوق والكشف، والخوف والرجاء، والقبض والبسط، والفناء والبقاء، ووحدة الشهود ووحدة الوجود، والشطح، والغيبة والحضور.

وكان الفصل السابع بعنوان «نحو محاولة لتقريب المواقف المتعارضة» وفيه نلقى الضوء على الفرق الإسلامية الموجودة فى الوقت الحالى، ونعرض لأهم نقاط الاتفاق والاختلاف بينها ثم نضع عدة مبادئ وأسس لتحقيق التقارب بين الفرق الإسلامية.

أما الخاتمة فنعرض فيها أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث كما نجيب من خلالها عن التساؤلات التى جاءت بمقدمة الدراسة.

الفصل الأول

أهمية المصطلح فى الفكر الإسلامى

أولاً ـ المعنى اللُغوى للفظ مصطلح.

ثانياً ـ نشأة المصطلح فى علم الكلام وفى الفلسفة وفى التصوف.

ثالثاً ـ جهود السابقين فى وضع المصطلح.

مدخـــل :

لكل حضارة لُغتها، ومصطلحاتها التى تعبر عن جوهر فكرهـا. ومنهـا الحـضارة العربية الإسلامية، التى تميزت بثراء لغتها العربية، وتعدد علومها الدينيـة، والدنيويـة، ومن خلال هذا الثراء اللُغوى ظهر المصطلح الفكرى، معـبراً عمـا وصـلت إليـه هـذه العلوم من تقدم، وأصبح لكـل علـم مـصطلحاته التـى يفهـم بواسـطتها، بـل أصـبح المصطلح أداة يستطيع الذهن من خلالها صياغة الفكر.

ولذا جاء المصطلح فى الفكر الإسلامى ليعـبر عـن جـوهر المعتقـد الـدينى لدى هذه الفرقة أو تلـك. وقـد عكـست المـساجلات الفكريـة، التـى دارت بـين أصحاب الفرق رغبة لدى كل فريق فى إظهار نفسه بأنـه صـاحب الحـق. وأثـارت المصطلحات فى الفكر الإسلامى جدلاً كبيراً، حيـث ظهـرت لكـل فرقـة ألفاظهـا ومصطلحاتها. بل إن المصطلح الواحد كان يستخدم للتعبير عن معان مختلفة لدى الفرق الإسلامية.

من هنا كانت الحاجة ماسّـة لتحديـد المـصطلح فـى الفكـر الإسـلامى بعـد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وازدهرت حركة النقل والترجمة، واطلع العرب علـى العلوم الوافدة إليهم سواء كانت هذه العلوم وافدة مـن اليونـان أم فـارس أم الهنـد. وقد تأثر المفكرون المسلمون بهذه العلوم خاصة علـوم الحكمـة. وظهـرت إثـر ذلـك محاولات عديدة من جانب الفلاسفة المسلمين للتوفيق بين العقـل والنقـل، ولم يتـأتَ هذا العمل إلا بعد تحديد، ووضع المصطلحات لهذه العلوم الجديدة، وبيان مـا يقابلـها فى اللغة العربية من معانٍ.

وبعد أن استتب الأمر للإسلام فى البلاد المفتوحـة انهـال علـى الـبلاد والحكـام الخير الوفير، وانشغل الناس بأمور الدنيا، وتكالبوا على متعها والاغتراف من ملذاتها، فابتعدوا عن الدين شيئاً فشيئاً، فآثرت طائفة مـن المـسلمين حيـاة الزهـد والتقـشف، والبعد عن الدنيا ومفاتنها فما كان منهم إلا أن تعمقوا فى باطن العقيدة، ليتجاوزا به ظاهر الشريعة محاولة منهم للوصول إلى المضامين الروحيـة للحقيقـة الدينيـة، وبالتـالى كان لابد من ظهور مصطلحات تعبر عن هذا الجانب الروحى الذى يميـز الخاصـة عـن العامة وأصحاب الذوق والمكاشفات عمن سواهم، وأهل الحق عن سائر الخلـق وذلـك من وجهة نظرهم.

أولاً ـ المعنى اللُغوى للفظ «مصطلح»:

كلمة «المصطلح» أصلها فى مادة (صلح) والصلاح ضد الفساد[1]. والمصطلح هو اتفاق فئة مخصوصة من الناس على وضع شىء، أو كلمة تحمل دلالة معينة[2].

والمصطلح فى اللغة مصدر من الفعل «اصطلح» بمعنى اتفق، وأقدم من استخدام هذا الفعل فى الفكر الإسلامى هو: بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ) فى صحيفته الشهيرة التى رواها برمتها الجاحظ فى (البيان والتبيين) حيث قال: «اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له فى لغة العرب اسم»[3].

وفى التعريفات للجرجانى (ت ٨١٦هـ) قال الاصطلاح: «عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشىء باسم ما ينقله عن موضعه الأول»، وهو «إخراج اللفظ من معنى لُغوى إلى آخر لمناسبة بينهما»، «اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى»، «إخراج الشىء عن معنى لُغوى إلى معنى آخر لبيان المراد»، «لفظ معين بين قوم معينين»[4].

ومعنى هذا أن الجرجانى وضع لكلمة «الاصطلاح» خمسة معانٍ:

١ - المعنى الأول: أنه «عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشىء باسم ما ينقل عن وضعه الأول».

وهذا التعريف يشير إلى أن المصطلح لا يكون إلا عند اتفاق طائفة من القوم (المختصين) على تسمية الشىء بلفظ معين. وهذا اللفظ تكون له دلالة محددة، وأن هذه الدلالة تجعل معنى اللفظ بعد اصطلاحه مختلفاً عن معناه قبل ذلك[5].

٢ - المعنى الثانى: أنه «إخراج اللفظ من معنى لغوى إلى آخر لمناسبة بينهما». والمناسبة بين المعنيين تتمثل فى بعد معرفى تصورى عقلى يربط بين الدلالة الأولى والدلالة المجازية فمثلاً: لفظ «الواجب» من الناحية الدينية هو الذى وجب

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى: مختار الصحاح مادة (ص ل ح) عنى بترتيبه محمود خاطر، دار الحديث، القاهرة بدون تاريخ.

(٢) أديب اللجمى وآخرون: معجم اللغة العربية، باب الألف، المحيط ط/١ بيروت ١٩٩٥.

(٣) محمد حسن عبد العزيز: المصطلح العلمى عند العرب، ص ١٧٦، دار المانى للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٤) الجرجانى: التعريفات، ص ٢٨، دار الكتب العلمية، ط/١ بيروت ١٩٨٣.

(٥) محمود فهمى حجازى: الأسس اللُغوية لعلم المصطلح، ص١٠، دار غريب القاهرة، ١٩٩٣.